

الحرص على إكمال مناسك الحج بالواجبات والشروط والسنن والأركان

على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. نسأل الله أن يتقبل منكم، وأن يضاعف لكم الأجر، وألا يضع أعمالنا جميعا. ونسأله أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه، وصوابا على السنة النبوية؛ فإن هذا هو شرط قبول الأعمال: أن يكون خالصا، وأن يكون صوابا. فللعمل الإخلاص شرط إذا أتى وقد وافقته سنة وكتاب فنقول: الإخلاص أن يكون العمل لوجه الله تعالى، وهو هذا الحج وغيره من الأعمال، إذا كان الإنسان عمل لوجه الله؛ فإن ربه - سبحانه - يقبل عمله. نعوذ بالله من عدم الإخلاص، وهو أن ينوي الإنسان بعمله أو بحجه - مثلا - الفخر والتمدح. أي يتمدح دائما؛ فيقول: إنني قد حججت كذا وكذا. يريد أن يتمدح، أو يقصد أن الناس يمدحونه - دائما- في المجالس، ويقولون: فلان كثير الحج، وكثير الاعتماد. وله هذا الهدف الذي يكون سببا في حبوط العمل. وكذلك الذين يحجون ويقصدون بحجهم المال، لا يقصدون أداء المناسك، ولا يقصدون قبول العمل والثواب عليه؛ لا شك- أيضا- أن هذا مما يفسد العمل، أو يقلل أجره. فالحجاج في الزمن القديم كانوا يتكلفون. لما كانوا يحجون على الرواحل- على الإبل- فيغيبون عن أهلهم شهرا أو شهرين. والذين بعيدين قد يغيبون سنة أو أكثر من سنة؛ لأداء هذه المناسك، وينفقون ما يقدرون عليه؛ لكن ما يحملهم على ذلك إلا أداء الفريضة التي فرضها الله وهو هذا الحج. وكذلك- أيضا- يقصدون الأجر المرتب على هذا الحج الذي هو فريضة أو نافلة. فإن الأجر المرتب عليه كبير، وهو مغفرة الذنوب والجنة؛ كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- { العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة } . هذا ثواب عظيم، كذلك أيضا يقول- صلى الله عليه وسلم- { من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه } وهذا- أيضا- ثواب كبير. إذا كان الحج يكفر الذنوب مع كثرتها- ولكن- لا بد أن يكون الحج مبرورا. الحج المبرور: هو الذي أخلص فيه صاحبه، والحج المبرور: هو الذي أنفق فيه نفقة حلالا. الحج المبرور: هو الذي كمل مناسكه ولم يترك من مناسكه شيئا، عمل فيه بالشروط والواجبات والأركان والسنن، وبالأفعال التي أمر الله تعالى بها وبينها النبي- صلى الله عليه وسلم-. نقول: إن علينا الحرص على إكمال هذا الحج؛ فأول ذلك- كما تعرفون- هذا الإحرام الذي هو التجرد من اللباس المعتاد؛ بالنسبة للرجال يتجردون من لباسهم؛ القمص والعمامة والسراويلات والفنائل والمشالغ - يتجردون منها- ويبقون على هذا اللباس الخاص. لا شك أن هذا يذكرهم بأنهم ممثلون لأمر الله تعالى. الله تعالى أمرنا بهذا النسك، ومن تمامه أن نتجرد من لباسنا المعتاد، ونلبس هذا اللباس الخاص- إزار يشد به الإنسان عورته، ورداء يلفه على ظهره يستر به ظهره وصدرة-. ويكونون كلهم سواء، الغني والفقير، الأبيض والأحمر والأسود، الصغير والكبير، العربي والعجمي؛ كلهم بهذا اللباس. يدلهم ذلك على أنه لا تفاضل بينهم؛ لا فضل بين الغني والفقير، ولا بين العربي والعجمي، ولا بين الصغير والكبير؛ كلهم مستوون في هذا. وإذا كانوا كذلك فإنهم مستوون في هذه الأعمال، إلا أنه يتفاضلون بما بينهم من التقوى. ورد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: { لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى } يعني: التقوى هي التي يحصل بها التفاضل؛ ولأجل ذلك امتن الله تعالى على عباده بهذا اللباس، وأخبر بفضل لباس التقوى؛ فقال تعالى: { يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيسًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ } . يعني: يسر الله لنا هذه الأكسية التي نستتر بها عوراتنا، ونستتر بها أجسادنا، ثم إنه تعالى ذكرنا بأن اللباس الحقيقي هو { وَلِبَاسُ التَّقْوَى } كون الإنسان يستتر نفسه بتقوى الله؛ يعني: يرتدي بهذه العبادة التي هي تقوى الله ومخافته.